الأسطورة فی شعرمحموددرویش

*د۔عمرانہ شہزادی

**د۔آغامحمدسلیم اختر

ABSATRACT:

A large number of Arabic legends, folktales, and myths reflect the culturural history, social customs, morals, values, and religious beliefs. Since the Arabs share the same geographical conditions, historical experiences, and language, it is quite difficult to specify the origin of Arabic legends and folktales. A reader of Arabic literature may find different versions of the same stories in various Arabic countries. For instance, the folktale Clever Hassan" from Palestine is equivalent to Abu Hajlan" from Syria and to Muhammad Belhajjala" from Tunisia. Although the versions differ slightly, the moral behind the tales is the same. Legend claims to recount the deeds of historical person in historical time. In case where historical substratum to the legends about a particular saints or hero seems to exist, scholars have often struggled to reconstruct his or her true story.

The said article shed light on the presence of many legends in Mahmood Dervish's poetry, and their heroic characters with mythical qualities.

الاسطورة هی ترجمة لكلمة ''Legend''الّتی تعنی أنهاقصة متوارثة تتعلق بالتقديس وهی تشبه الحكاية الشعبية فی المضمون لكنّها تتضمن كائنات ذات قوی خارقة وعناصر من علم الميثولوجيا، وهی تدورحول الشخصيّة التاريخيّة الّتی كان لها دورها

* الأستاذه المساعدة فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد

** المشرف، الاستاذ المشاراک فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بفيصل آباد الكلية الحكومية

الإنسانى فى صنع التاريخ والدفاع عن البشر، تصبح مع الصيرورة التاريخية وحالة جماليّة تفوّق حدالتخيّل، وفى تحديد معناها أقاويل كثيرة مختلفة تدل على كونها قصة محاربة تحفى اعمق المعانى، أوقصة رمزيّة تعبر عن فلسفة كاملة لعصرها، وايضاً يقال هى: حكاية مجهولة المؤلف تنحدث عن الاصل والعلة والقدرويفسربها المجتمع ظواهرالكون والانسان تفسيراً، لايخلومن نزعة تربويّة تعليميّة.(١)

ونرى قول الباحث الفرنسى''حكوديف'' عن الحكاية ''انها حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية ادوارها الرئيسية''(٢)

وقدرورد كلمة''اساطير'' تسع مرات فى القرآن الكريم فى سياق تكذيب المشركين لرسالة محمدﷺ وتدل على معنى اباطيل وخرافات وقصص الاولين.

عندمانحن ندرس تاريخ الادب العربى نلاحظ لم يصل الينا تراث اسطورى كبير بسبب اهمال الرواة المسلمين فى عصرالتدوين الّذين لم يقبلوا الاساطير الكبيرة الّتى لم تنفق لعقيدتهم الإسلامية لإنهم لايحبّوا الحكاية الّتى كانت لا وجود فى الواقع وفى الادب العربى نجد الاسطورة فى شكل ''الف ليلة وليلة'' و''كليلة ودمنة'' (لابن مقفع) ''ورسالة الغفران'' (لابى العلاء المعرى) ورسالة ''التوابع والزوابع''(لابن شهيد)، ورسالة ''تداعى الحيوان على الانسان''(لاخوان الصفا) هناك قدرمشترك بين الحكايات الشعبيّة والكرافية وحكايات الخوارق والأساطير انهما نبعث من الخيال الإنسانى الخصب ويتجاوز الحقيقة ويتخطّى حدودالزمان والمكان، ويمزج بين الأحلام والاوهام، ويحتوى مايحس ويرى ويسمع الراوى من البيئة ويتعلم م تجاربها الذاتية والموروثة والمعاشه، وهذا هوالخيال الّذى أبدع الاسطورة وابدع كل تلك الاشكال الّتى تكادأن تكون عالميّة وهوالّذى يعود إليه الشاعرالمعاصر، وفى تجربته الشعرية الجديدة هى من أبرز الظواهرالفنيّة استخدمها لأداة التعبيره وفى الشعرالجديد الاسطورة مرّت بمرحلتين الأولى: صياغة الأسطورة وهذه المرحلة ممثلة ''مدرسة الاحياء'' والديوان والمهجروابو لؤلؤ(فى النصف الاوّل من القرن العشرين) مثل نلاحظ فقدكان شوقى يصوغ حكاياته عن الحيوان، وكان شفيق معلوف يصوغ الأساطير العربية عن العبقرية

وكـان محمـود طـه يصـوغ الأرواح وأشـباح والريـاح الاربـع عـن اصـول فرعونيـة وشخصيات يونانية وكان ابوشبكة يصوغ قصص الكتاب المقدس ومـا احـتفظ بهـا مـن أساطير وهكذا يصوغ العقاد ترجمة شيطان على النسق الأسطورى. وفـى هـذه المرحلـة كانت الأسطورة عندالشاعر تكاد ان تكون لها استقلالها الموضوعى.

وفى المرحلة الثانية نلاحظ الاسطورة فى بناء القصيدة (ممثلة بالمدرسة الّتى بزغت مـع بداية النصف الثانى من القن العشرين ومازالت مستمرة إلى اليوم) ومن أهم شـعراء ہـذه المرحلة، بدرشاكر السياب، ومحمود درويش ويستخدهما الرموز الأسطورة وسائط فنية بينهما وبين الملتقى وهولا يصوغ الاساطير ولكنّه يشكل.(٣)

وقدلجأشعرا ؤنا إلى الأساطير اليونانية، الفينقية، الأشورية البابلية والفرعونية، وألمّ بعضهم بالأساطير الافريقية والصينية وفى الادب العربى المعاصر الأساطير كثيرة واشهرهاهى:

الاساطير البابلية:تموزوعشروت

الاساطير اليونانية: سيزيف، فينوس ، ادوينس

اساطير العبرية: السندباد، شهرزاد، عنتر، قابيل وهابيل، المسيح

تعدعلاقة محمود درويش بالأساطير قديمة، فديوانه ''عاشق من فلسطين''(١٩٦٠ء) شهادة على صلته وثيقة منذ اعماله الشعرية المبكرة. وقصائد هذا الديوان تدل على عمق تجربة الأسطورة فى شعره .(٤)

ونلاحظ فى شعرمحمود درويش الاساطير البابليه واليونانية والعبريّة اى ان الشاعر قداحاط جميع انواع الأساطير معروف فى الزمن الماضى فى الادب، خاصة فى الادب العربى. فى شعر محمود درويش الأسطورة خاصة مرتبطا بواقعه الشعورى ارتباطا وثيقا هوالحياة والموت، وعنده الاسطورة وعى اسطورى أى انها احاس يتجمع فيه المناقصات بما فيها من مضامين وازمنة وأمكنة وما ان تصل نقطة التجمع هذه حتى تسيرفى دهليز الإبداع، ولاتخرج منه إلا قداكتسب ايقاعا جديداً فى مضمونه وزمانه ومكانه،(٦) قدذكر محمود درويش فى شعره أسطورة تموز، وهذه الاسطورة يتعلق من

الاساطير البابلية، فكانت الآلهة ''الام'' او''عشتار'' سيّدة الطبيعة وآلهة الخصب وأمّا''تموز'' فإنّها تخيّل رُوح النبات الّتى تموت وتحيا فى دورة مستمرة باقية ، بمعونة رُوح الخصوبة الكونية الّتى يتوقف عليها إنعاش الابن القتيل واستعادته من العالم الاسفل إلى الحياة مرّة أخرى،(٧) ظلّت الاسطورة المشتركة فى الثقافات المختلفة مع اختلاف الأسماء(٨) واسطورة ''الالهة الأمّ'' غريبة، فهى تحب أبنها اوزوجها لكنّها تلقيه إلى التهلكة، وحين تندم على قتله تخاطر بنفسها وتنزل إلى العالم السلفى لترجعه الحياة مرة اخرى(٩) وهى بذلك تكون قاتله لكنها قاتلة نبيلة كمحبوبة محمود درويش إذ يقول:

الجميلات كل الجميلات ، أنت إذ ما اجتمعن ليخترن بى أنبل القاتلات

وتكون عاثبة كماوصفها محمود درويش وهويحاورنفسه إذ يقول:

فقلت : أتلك هى العودة المشتهاة

فقال : وملهاة إحدى أَلِهَتِنَا العابثا

فهل اعجبتک الزيار

قلت : أتلک نهاية منفاک

قال : وتلک بداية منفاک.(١٠)

فى هذه القصيدة يتكلم محمود درويش عن عودته الى فلسطين وهويصوّرُ عودته، الحياة بعدالموت ويعتقدان الموت عفا عنه، ولكن احساس الغربة والمنفى يلتزم به حتى الآن، وهومثل ''تموز'' فى عودته إلى الحياة، وتموز يعود إلى الحياة لكى ينتظرالموت مرّة أخرى وشاعرنا يعود إلى فلسطين لكى يحسّ المنفى مرّة اخرى، فهويكون مثل تموزلأنّه حياته، مرتبط بدورة الطبيعة، والاسطورة تدل فى الأخيرعلى الخلود''تموز'' لأنّه رغم موته المتكرر سيعيش بعثا متكرراً والشاعر مع تموز رأى نفسه رُوح النبات، وشعرأنه يمتد فى الاشجارومادامت فيه حياته، قد ارتبطت بدوره الطبيعة مثل ''تموز'' قداصبح خالداً ولا شيء قادرعلى افنائه.

---- امتدفى الشجرالعالى فيرفعنى

إلى السماء ، وأعلو طائرا حذرا

لا شيء يخدعه، لاشى

يصرعه

وهذه ملامح اسطورية مستمدة فى شخصية تموز، واستعارها الشاعر، وهويريد ان يدخل فى شجرالثوت ويكون رُوح النبات مثل تموز، فهوتحول إلى دودة القزّ إلى خيط حرير ويدخل فى ابرة إمراة من نساء الأساطير فتعيد بعثته وتكوين من جديد، قدغيرالشاعر دلالة الأسطورة وتفاصيلها بذّل حتى يوافق حاله، ويتعامل الشاعر مع الرموز القديمة--- وينشى الاسطورة الجديدة وذالک دال على قوته الابتكارية فذّة كماانه يستطيع ان يرتفع بالكلمة العادية المألوفة إلى مستوى الكلمة الرامزة.(١١)

اسطورة العنقاء والفينيق

الفينيق والعنقاء طائران وتمثلان اسطورة البعث، عندالإغريق (الفينيق) والعرب(العنقاء) وهم يعتقدون أنه طائرمقدس يستطيع أن يعيد إنتاج نفسه بنفسه(١٢) ويقال أن طائرالعنقاء هو نفسه طائرالفينيق الّذى نجدصداه فى الأساطيراليونانية والّذى ينسبه اليونان إلى بلاد العرب.(١٣)

طائربديع يشبه ''النسر'' ريشه احمر مذهب، مقدس لإله الشمس فى القطرالمصرى يظهر للبشركل خمس مائة سنة ويقطن فى بلادالعربى وعند أجله يضع بيضة فى عشه ويموت وسرعان يولدالعنقاء الجديدة من البيضة، إذا ماوصلت إلى سن البلوغ حملت أباهاالغانى فى العش إلى هيليو لويس فى القطرالمصرى ووضعته فوق مذبح إلى الشمس وحرقته، ذبيحة، وهناک رواية اخرى تقول أنه مضى خمس مائة سنة على العنقاء تحرق نفسهافى كومة الحطب ومن الرمادالمتخلّف تحيامن جديد وتجدّد شبابها لتعيش مرّة اخرى.(١٤)

وأسطورة العنقاء واحراقة تدل على بعثه الجديدة وخلوده فى حالة الشابة، ويريدالشاعر محمود درويش أن يكون كالعنقاء ويريدان يظل شاباً وهويفكر أنّه تجاوزالستين من عمره ، وأحس أنّه لوتجاهل تقدمه فى السّن والآن احبّ، أن يكون نوعا من الفكاهة

لذلک أتمنى ان يصبح حجرا قديمالايشعرالحب مرّة اخرى ويريدان يعمل عملاً بديعا ان يصبح دائما فى حياته إذ يقول:

هى جملة اسمية: فرحى
جريح كالغروب على شبابيک الغربية
زهرتى خضراء كالنعقاء ، قلبى فائضٌ
عن حاجتى، مترددمابين بابين:
الدخول هوالفكاهة ، والخروج هو
على الطريق إلى القيامة؟ ليتنى
حجرقديم واكن اللونين فى سورالمدينة
المتاهة ، أين ظلّى، مرشدى وسط
الزحام كستنائى واسود ، طاعن فى اللاشعور
تجاه زوّارى وتأويل الظلّال ، وليت
للفعل المضارع موطئاً للسيّر خلفى
أو أمامى ، حافى القدمين(١٥)

وهوقدبدأقصيدته بقوله: هى''جمله اسمية''والجمله اسميه تدل على الثبوت لأن الحركة والتغيريرتبطان بالزمن ، والزمن يرتبط بالفعل ولمّا غاب الفعل من النص ، صارالنص يدل على الجمودالّذى على حياة الشاعروما يصاحبه من احاس بالملل ، ولوكان للفعل مكان فى حياته ونصّه لأحرق نفسه مثل العنقاء وبعث نفسه من جديدليعيش شبابه ويكون للفعل المضارع (أى الحاضر) اثرفاعل فى حياته.

واسطورة العنقاء ترتبط عندمحمود درويش بالحنين إلى الشباب والوطن فهوحين عاد إلى بيت أمه ورأى صورته وكان عمره عشرين سنة تذكرتلک الصورة ايام شبابه، وشعران قلبه مثقوب بريشة العنقاء ، لأنّه لايمكن ان يكون مثلها فيحرق نفسه لينبعث من رماده شاباكما كافى فى الصورة ويقول:

ُأنت أنا؟ أنذكر قلبک المثقوب

بالنّاى القديم وريشة العنقاء؟

أُم غيّرت قلبک عند ما غيّرت دربک(١٦)

وهوينتمى بتأسف لوأنه كان مثل طائرالعنقاء لأحرق نفسه ، وانبعث من رماده شابا ولم يخرج من فلسطين، لأن حياته خارجها قدافتقرت إلى الاستقرار إلى الحدالّذى شعر معه أن كان يعيش دائما على الجسر إذ يقول:

---- وأما أنا نسيتک حين احتفظت

بريشة العنقاء لى---- وندمت

الآنتصالح؟ قلت

قال:تريث

فى هذا النص يخاطب الشاعرنفسه ويندم أنه يعيش حياته فى خارج فلسطين وكان واجب عليه ان يسكن فى فلسطين الآن. ويريدان يحتفظ ريشة العنقاء وظلّ شابا، وهذا الحوار الّذى داربين الشاعر ونفسه يعتبر عن حنينه إلى مرحلة الشباب ورغبته بالعودة اليها الّتى لايمكن ان تتحقق إلّا بالأساطير وريشة العنقاء.

واسطورة العنقاء ارتبطت عندمحمود درويش بالحنين إلى الوطن والعلاقة بين الوطن والشباب وهو يحس أنه غادر وطنه شابا وعاء إليه كهلا فحنّ إلى الماضى، فهذه الاسطورة تمثل له الملاذ الّذى يلجا إليه ليحقق توازنه النفسى، لأنه لواستطاع ان يكون كالعنقاء ولأحرق نفسه وأعاد بعثها من جديد، وتحقق رغباتها.

وايضاًاتكأمحمود درويش''اسطورة'' ،''اوديس'' إذ يقول على لسان''يانيس رينتسوس''ثم قال: سيرجع أوديسكم سالماً سوف يرجع(١٧)

وهوقدرمزياوديس''للفلسطينى الّذى طال عليه اغترابه عن وطنه و''اوديس'' هوبطل أسطورى سردت أوديسه اخبار رحلته فى صوره من طروادة إلى مملكته إيثاكا(١٨) ومحمود درويش كان يستمد الأمل من أسطورة ''أوديس''فرحلة الفلسطينى قدتكون طويلة وشاقة كرحلة اوديس. لكنّه لابدّان يرجع فى النهاية إلى وطنه كما رجع''اوديس'' إلى إيثاكا.ووظّف ايضاً أسطورة الهدهد فى قصيدته ''لى حكمة

الحكموم بالإعدم إذيقول:وهمت بغيمة بيضاء تأخذى إلى أعلى كأنّى هدهد والريح اجنحتى(١٩)

وهوقدرمز بالهدهد إلى قدرة على استشراف المستقبل والتبصّر، ولايمكن تغافل طبيعة هذا الطائرواقعيا والأساطير الّتى نسجتها حولہ المخيلة الشعبية بالإتكاء على المرجعيات الدينية المتحورحول قدرتہ العجيبة على اكتشاف الماء من باطن الارض والتعبيروخفہ الحركة والجمال الشكل.

فانتشرت فى قصائده اسطورة مثل، سدوم، وعمورة وبابل، كمااستدعى إيليا وإشعيا، وإرياء، وتناول رمز بابل استوحى فيہ نكبة اليهود، الّذى يعانى فيہ الفلسطينيون حتى اليوم.

ومن الأساطير العبرية نجدذكر المسيح كما ورد فى قصيدة '' أبدالصّبار'' لدرويش' يتطلب معرفة خاصة بالمصدرالمسيحى والاطلاع على تجربة السيد المسيح عليہ السّلام واقوالہ وتعليمہ ومعجزاتہ وغيرذلک.

وكان غدطائش يمضع الريح
خلفها فى ليالى الشتاء الطويلة
وكان جنود يهوشع بن نون يبنون
قلعتهم فى حجارة بيتهما، وهما
يلهثا من حجارة بينهما وهما
يلهثان على درب قانا؟ فهنا
مرّ سيّدنا ذات يوم هنا
جعل الماء خمرا، وقال كلاهما
كثيرا عن الحبّ ، يا ابنى تذكر
غدا، وتذكرقلاعا صليبيّة
قضمتها حشائش نسيان يعد
رحيل الجنود---(٢٠)

وهذا المقطع على وجه الخصوص ذروة تجمع قنوات الذاكرة كافّة على المستوى الفردى والجماعى مثلاً المصادر التراثية، الإنجيل ، حيث ذكر فيه بخصوص آيات يسوع فى حكاية المآء المتحول خمرا: مايلى:

''ذاق رئيس المتكأ المادالمتحول حمراولم يكن يعلم من أين هى! هذه بدايات آيات فعلمها يسوع فى''قانا الجليل'' وظهرمجده فآمن به تلاميذه''(٢١)

كماذكرتدميريشوع لأريحا الكنعانية فى التوراة أن جنوده من احرقوا المدينة:

''وقدحلف يسوع فى ذلک قائلا ملعون قدام الرب الرجل الّذى يبنى هذه المدينة''(٢٢)

وفى ديوانه لماذاتركت الحصان وحيداً ''بنى قصيدة''على تصوير مشهد خروج (الابن) وابيه من سهل عكاالمجيد متبعاذلک بحوار مقتضب بينهما يفصح فى نموواطراد، وهما يسلمان قدميها بطريق الشمال ويمرّان على مواضع تستدعى فى الإشارة إلى مخزون الذاكرة فى مثل قول الأبّ''هناصلب الانجليز أباک على شوک صبارة ليلتين ولم يعترف ابداً''

كماذكر محمود درويش فى قصيدته''على حجر كنعانى'' ذكرالحمام، او''الهديل'' الّذى يعدمن الأساطير القديمة ان ''الهديل اوذكرالحمام بعدان مات حزنت عليه الحمائم ولبست ثياب الحداد حتى يومنا هذا، وبقى الحزن على مرّالعصور يوظف درويش هذا الحزن وهذا الفقد وهذا الانتظار اوحلم العودة إلى الهديل اوالوطن التى يعيشها الشاعروابناء وطنه ندماوحسرة على فقدان الوطن وضياعه واحتلاله. يقول الشاعر:

ورأيت ريشتها نطرزطائرين: لشالها، ولشال اختى
وفراشة لم تحترق بفراشة من اجلنا، ورأيت لا سمى
جسداً أنا ذكرالحمام يئن فى انثنى الحمام(٢٣)

محموددرويش يشيرإلى العلاقة بين المحب والمحبوب، أوبين الشاعروالوطن فالشاعرهنا ذكرالحمام اوهوالوطن الضائع الّذى يئن حزناوانتظارالعودة انثاه اوحمامته اوحبيبته، اوابنه المهاجر المنفى المبعد عنه.

فيوظف محمود درويش قصه''مريم العذراء والنخلة والولادة معنوياواسلوبيا، فالمعنى الّذى تحمله القصة وتحيل اليه يتعلق بالمقارنة بين مريم فى لحظات الولادة وارسال جبريل اليها لتهزّ النخلة ''فيتساقط الرطب'' وتاكل وتحياوبين أريحا اوالوطن المحتل الّذى ينتظر الولادة والحياة بعد ان يهتزالناس ويثورون ويحررون الوطن من المحتل.

نامت أريحا تحت نخلتها القديمة ، لم أحداحد يهز سريرها ، هدأت قوافلهم فنا مى...

....قتلاى ام روياى تطلع من منامى ....الانبياء جميعهم اهلى ، ولكن السماء بعيدة عن اهلها ، وانا بعيد عن كلامى(٢٤)

فأريحا النائمة تحت النخلة أوالوطن الّذى ينتظرالتحريروالولادة من جديديشبه مريم العذراء المنتظرة تحت النخلة مولودها، فيطلب اليها جبريل بأمرالله وهزى اليک بجذع النخل يسقط رطبا جنيا، عندالشاعر النخلة وطنه لم يجد احداً يهزه اويحرّک فيه ثورة الحياة والتحرير، فلم يحدث النصر ولم يم المخاض والولادة من جديد، كمالم تتم رؤى النصروالتحرير.

وهكذا نجدذكر قصص كسرى و فرعون وقيصرونجاشى، والاشارات اليهم تدل على قضيه الاحتلال وإلى موقف الشاعرمنها ورويته لهاحيث ان زوال الاحتلال لهذا الارض حتمى مؤكد ومن يشک هذا فليرجع إلى التاريخ وليقرأ مراحل الغزو والاحتلال المتعاقبة فى التاريخ القديم، ويوضح الشاعران احتلال اليهودواليوم لفلسطين مهما طال، سائرنحوزوال كمازال احتلال الآخرين من قيل، وهوموقف يؤمن به الشاعر.

هذابحرلا يحتله احداتى كسرى و فرعون فقيصروالنجاشى والآخرون، ليكتبوا اسماء هم بيدى على الواحه فكتب، لاسمى الارض، واسم الارض، واسم الارض آلهة تشاركنى منامى فى المقعد الحجرى(٢٥).

وقصص كسرىٰ و فرعون اشارات تحيل إلى قضية الاحتلال وإلى موقف الشاعر منها وريته لها يتعلق شعرمحموددرويش بقضية فلسطين وهويعبّر بصوره واستعاراته وقصائده الملحمية عن تحولات هذه القضية وانعطافاتها فهويكتب قصائد حب يتأمل حالة عشق متحولة بين رجل وامرأة منفين، هما على الأرجح فلسطينيان إنّه يعيدوصف

مشاعرالحب فى ضوء ماتعلّمه، من قصائدالحب وحكاياته وأساطيره، من مجنون ليلٰى وجميل بثينة، وأساطيرالحب السومرية وصولاً إلى كتاب الكامالسوطرا الهندى(٢٦) وهويقول:

أنا قيس ليلٰى

غريب عن أسمى وعن زمنى
لا أهزّالغياب كجذع النخل
لأدفع عنّى الخسارة، أواستعيد
الهواء على ارض نجدٍ.....
أنامن اولئک
وممن يموتون حين يحبّون ، لا شىء
أبعدمن فرسى ، أبعد من لغتى من أميردمشق
أنا أوّل الخاسرين....
اناقيس ليلٰى ، وأنا
وأنا....لاأحد(٢٧)

استدعا درويش الشخصيات التراثية التاريخية والدينية المرتبطة بالوطن مثل: هابيل وقابيل، ونوحً ويعقوبً و يوسفً وأشيعاً وعيسٰىً و مريمً ومحمدﷺ وعائشة رضى الله عنها، وصلاح الدين ايوبى وغيرهم.

فنجددرويش يحاور الانبياء ويوضح من خلال محاوراته الوضع الّذى يعيشه، الشعب العربى الفلسطينى، ويتجه الشاعر نحوتراثه الدينى ليثبت الحقائق قيلت عن الانبياء، فكثيرمن الانبياء اضطهدو عذّب ومنهم من قتل من أجل كلمة الحق والعدالة الّتى جاء من أجلها، فنراه يحاورالنبى حبقوقً.(٢٧)

ومن الشخصيات التاريخية، يذكرمحمود درويش، ذكر''المتنبى'' بعنوان قصيدة ''رحلة المتنبى إلى مصر''(٢٩)

وسبب اختيارلهذه الشخصية لأنها ذات الهويّة الشعرية المعروفة عبّر حقائق مستمرة من حياة الشاعرالكبيروهى ثابتة فى تاريخه الحافل فانّما يعانى الازمة الحقيقة على مستوى الشعور العام بقضايا امته الّتى يراها تتساقط تحت وطنه الهيمنة وانهدام مجدها التليد وقصيدته تعبير عن قضايا تمس الكيان الحضارى للامّة وإن انبثعت من المأزق الخاص المرتبط بشخصية المتنبى(٣٠) يقول الشاعر:

للنيل عادات
وإنّى راحل
أمشى سريعافى بلاد تشرق الاسماء منّى
قد جئت من حلب، وإنّى لا أعود إلى العراق
سقط الشمال، فلا ألاقى
غير هذه الدرب ليسجى إلى نفسى و مصر
كم اندفعت إلى الصهيل
فلم أجد فرسا و فرسانا

ولا أرى بلدا هناک
ولا ارى احد هناک
الارض اصفر من مرور الرمح فى

الشاعر قد صدر قصيدته على لسان المتنبى بهذه العبارة الشعرية للنيل عادات وأنّى راحل وكررها اكثر مرّة و ختم القصيدة بها القهر، والذل وسطوة الحاكم المستبد بالاضافة إلى أعداء ه يتربصون الدوائر للانقضاض عليها.

قد استخدم محمود درويش الشخصيات التراثية اليهودية فى اعماله الشعرية مثل حبقوق، وإرمياء إشعيا وغيرهم من الانبياء والحكماء الّذين نادو بقيم اصلاحية وانسانية لمجتمعاتهم وكل هذه الشخصيات تستلهم كل التراث الفلسطينى على أرض فلسطين، بمافيه التراث اليهودى والمسيحى باعتباره نتاج هذه الارض ولا يزال محمود درويش

ليستلّهم رموزا من التراث اليهودى لها علاقة بالارض المقدسة، مثل : هيكل القدس، أشعيا ، اور شليم ليجعلها تقف إلى جانب الحق الفلسطينى.(٣١)

هكذا يستلهم محمود درويش الشخصيات من التراث الدينى الاسلامى وما يتعلق بحياة محمدﷺ، يورد الشاعر شخصية محمدﷺ مرزاً شاملا للانسان العربى سواء فى انتصاره و عذابه، وإلى جوار هذه الدلالات أخرى فى توظيف شخصية الرسول من ذلك التمرد على الظلم وحمل لواء النضال فى سبيل الحق والخير الانسانى، مثل يقول:

''فاصعد إلى سدرة المنتهى يا محمد''

وهذا النص يوضح الشاعر اصرار اليسوع فى الوصول إلى الهدف الوطنى والسياسى وهو الهمود و الاصرار والثورة على الظلم، لاسيما ان الظالم هو نفسه وهم اليهود، وذلك فى قصيدة بعنوان ''محمد'' يقول فيها:

محمد
يسوع صغير ينام ويحلم فى
قلب أيقونة
صنعت من نحاس
ومن غضن زيتونه
ومن روح شعب تجدد
محمد دم راد عن حاجة الانبياء
إلى مايريدون، فاصعد
إلى سدرة المنتهى
يامحمد

وايضاً يورد ''ليصوّر مدى المعاناة الّتى يلقاها الاحسان الفلسطينى والمتمثلة فى البحر والموج والفرق الّذى يرمزبه الرحيل من ناحية وللعدو الصهيونى ومن يقفون وراء ه من ناحية اخرى يقول:

الف شباك على البحر الّذى قد اغرق الاغريق

كى يقرقنا الرومان
بيضاء هى الجدران
زرقاء هى الموجة
سوداء هى البهجة
والفكرة مرأة الدماء الطائشة
فلتحاكم مرأة الدماء الطائشة
فلتحاكم عاعشة
ولتبرأ عائشة
آه! لاشئ يشير الروح فى هذا المكان(٣٢)

ونجد فى شعره الاسطورة الشهيرة ''جميل بثينة'' استخدمها محمود درويش التوضيع حبه للوطن. وعنده بثينة وليلى المعاصره ''وطن'' وهناك البعد بينه و بين وطنه بوجه سيطرة العدوّ.

كبرنا، أنا وجميل بثينة، وكل
على حدة فى زمانيين مختلفين
--- يا جميل: نكبر مثلك مثل
بثينة
نكبريا صاحبى خارج القلب (القلب هنا والوطن
--- هى ، ام تلك صورتها
انها هى يا صاحبى ''مها'' لحمهاء اسمها، لازمان لها
ربما استوقفتنى
غدانى الطريق إلى أمسها(٣٣)

يستحضر محمود درويش فى هاتين قصيدتين أقنعه العشاق المشهورين فى التراث العربى، وينطلق فى الترميز والدلالة من حالة الحب الخالد العظيم بين العشاق وحالة الفراق المرير الّتى من كل مثهما فى حبّة وفى عشقه.(٣٤)

مثل فى قصيدته ''أنا يوسف يا أبى'' يمثل نفسه كيوسف عليه السلام فى اسلوب الاسطورة ويذكر ظلم العدو مثل ظلم اخوانه، ونجد الاسطورة فى قصائده العديدة مثل، احمد الزعتر.

سرحان يثرب القهوة، مديح الظل العالى، الاعراس، هدنة مع المغول أمام غابة السنديان، مأساة النرجس وملهاة الفضّة الهدهد، وهذه القصائد تدل على خصبته والقدرة على جدل الحكاية الفلسطينية بحكايات التاريخ المستعارة فى هذه القصائد تتداخل الحكايات ويصبح من الصعب على القارئ أن يفصل عناصر حكايتنا عن عناصر حكايتهم ، وهو مايرقى بشعر درويش، فى هذه المرحلة، ليصبح شعرا انسانيا خالداً قادراً على التعبير عن حكاية البشر، لا حكاية بعض البشر وهذا ماتقول به خير قيام.

مثل فى قصيدة ''عن الانسان'' فى ديوانه ''أوراق الزيتون'' يذكر الشاعر روما، ويرون، أى يشهد بأحداث تاريخية مثل موت نيرون الّذى ظلّت روما تعانى من جبروته ذلک لانّ يدالظلم والاغتصاب كانت قويّة وقاسيّة فانها لابدّتضعف وتنحسر وهذه القصيدة تعكس واقع القهر والظلم الّذى يعيش به الانسان العربى الحديث، وهذه القصيدة اشبه بالقصّة والملحمة وانها قد تنسب إلى ابطال وشخصيات الملاحم، ويشكل الشاعر حياة الناس كافة فتلتقى صور الانسان وغيرها من صورة الحيدة صور النماذج العليا فى ذهن الشاعرا و القاص ليستطيع الشاعر اوالناثر ان يشقا طريقتها وسط تناقضات الحياة الرهبية الّتى تهدد حياتهما فى كل مجا

الهوامش

١ ـ مكانة الاسطورة واهميتها، محمد عبدالرحمن بتونس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٧٢

٢ـ المصدر السابق:

٣ـ الرمز الاسطورى فى الشعر العربى الحديث، هدى قرع 292819 www.ahewar.org 5/12/2012

٤ـ الاسطورة فى الشعر الفلسطينى المعاصر، احمد جبر شعت، فلسطين، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٢، ص٣٩

٥ـ الادب والاسطورة، محمد شاهين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشرط، ١٩٦٦

٦ـ مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٦ العدد الاوّل والثانى، عبدالفتاح تهانى شاكر، الادب والسطورة

٧ـ احمد زكى كمال، الاساطير، دراسة حضارية مقارنة، بيروت ١٤، ١٩٧٩، ص ٥٣، دارالعودة

٨ـ المصدر السابق

٩ـ فراس السواح لغزعشتار، الالوهة المؤنثة واصل الدين، والاسطورة دمشق، دارعلاء الدين، ط٦، ١٩٩٦، ص٢٤٢

١٠ـ ديوان، الأعراس، قصيدة الاعراس محمود درويش، ص٩٠

١١ـ عزالدين اسماعيل، الشعر العربى المعاصر، قضاياه وظواهره، الفنيّة، بيروت، دارالعودة، ودارالثقافة ط٣، ١٩٨١، ص٢١٧

١٢- معجم الاعلام فى الأساطير اليونانية سلامة، مصر، دارالفكر العربى، ط١، ١٩٩٠، ص١٢١٠

١٣- موسوعة الأساطير، ترجمة حنّا عبود، ص٧٨

١٤- امين سلامة، معجم الأعلام فى الأساطير، ص٢٢٥

١٥- محمود درويش، ديوان لاتعتذر عما فعلت، قصيدة جملة اسميه، ص٣٥، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٤م

١٦- محمود درويش، المصدر السابق، قصيدة فى بيت امّى

١٧- المصدر السابق، قصيدة: فى بيت امّى

١٨- موسوعة الاساطير، ترجمه حنّا عبّود، ص ١٤٢

١٩- محمود درويش، لاتعتذر عمّافعلت، ص ١٧ قصيدة ولى حكمة المحكوم بالاعدام، ص١٦

٢٠- محمود درويش، ديوان لماذا تركت الحصان وحيدا، قصيدة أبدالصّبار، ص٦٠٢، بيروت لبنان، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ١٩٩٥م

٢١- يوحنا، إصحاح (٢) ١٤٢

٢٢- سفر يسوع، إصحاح (٦) ٣٤٢

٢٣- محمودر درويش لاتعتذر عما فعلت، ص٦٥

٢٤- المصدر السابق

٢٥- المصدر السابق

٢٦- هكذا يتكلم محمود درويش، عبدالاله بلقريز، ص٤٥

٢٧- ديوان، سرير الغريبة قصيدة قناع لمجنون ليلى، ص٦٩٧

٢٨- محمود درويش، ديوان عاشق من فلسطين، قصيدة نشيد، ص٣١

٢٩- محمود درويش، ديوان حصار لمدائح البحر، ص٣٩٣

٣٠- انظر: الشعكة، مصطفى ١٩٨٣، ابوالطيب المتنبى فى مصرو العراق ط١، عالم الكتب بيروت يناير، ٢٠١٠

٣١- محمد فواد سلطان، مجله جامعه القدس، المجلة الرابع العاشر العدد المارون

٣٢- محمود درويش، ديوان، حصار البدائع البحر، ص٤١٢ قصيدة تأملات سريعة فى مدينة قديمة جميلة

٣٣- محمود درويش، سرير الغريبة، ص ١٢٤، رياض الريس للكتب عمّان، الدار العربية والنشر، ط١، ٢٠٠٠م

٣٤- انظر جريدة الراى الاردنية، لجمعة1/8/2001 ف

المصادرو المراجع

١ - احمد جبر شعث، الاسطورة فى الشعر الفلسطينئ المعاصر ،مكتبة القادسية للنشر والتوزيع ،ط١-٢٠٠٢م

٢- ا حمد زكى كمال، الاساطير، دراسة مقارنة، دار العودة بيروت،ط ٣،سنة ١٩٧٩م

٣- امين سلامة، معجم الاعلام فى الاساطير،مصر، دار الفكر العربى، ط١ ،١٩٩٠م

٣- جريدة الرائ الاردنية لجمعة ١ -٨- ٢٠٠١م

٥- حنا عبود، موسوعةالاساطير، ،دار العودة بيروت ،ط٣ ،سنة ١٩٨٩م

٦- عبد الالـه بلقريز-مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ، ٢٠٠٩م

٧- عز الدين اسماعيل ،الشعر العربى المعاصرقضاياه و ظواهرة الفنية ،بيروت ،دار العودة ، ط ٣ م-١٩٧١م

٨- فراس السواح لغز عشتار ،الالوهة المونثة واصل الدين ،دمشق ،دار علاء الدين ،ط٦ ،١٩٩٦م

٩- محمد شاهين ،الادب والاسطورة،بيروت الموسسسة العربية للدراسات والنشر ،ط١، ١٩٦٦م

١٠- محمد عبد الرحمن ، مكانة الاسطورة، بيروت و اهميتها ، الموسسة للدراسات والنشر ،ط١ ،١٩٦٧م

١١- محمد فواد سلطان، مجلة القدس ،العدد الرابع العاشر

١٢- محمود درويش، ديوان ، الاعراس، مكتبة رياض الريس بيروت، لبنان، للكتب والنشر ط١، ١٩٦٧

١٢- محمود د رويش،ديوان،سرير الغريبة، مكتبة رياض الريس ، للكتب والنشر عمان ،٢٠٠٠م

١٣- محمود د رويش،ديوان،حصار المدائع البحر، مكتبة رياض الريس ، عمان الدار العربيةوالنشر، ط ١ -١٩٩٥م

١٣- محمود درويش ، ديوان عاشق من فلسطين، مكتبة رياض الريس بيروت، لبنان، للكتب والنشر ط١٩٦٠،١م

١٥- محمود درويش ،ديوان ،لا تعتذر عما فعلت ،مكتبة رياض الريس بيروت، لبنان، للكتب والنشر ط١، ١٩٦٣ م

١٦- مصطفى الشعكة،ابو الطيب المتنبى فى مصر والعراق، عالم الكتب بيروت ،ط ١ ،يناير ٢٠١٠-

١٧ - هدى قزع،الرمز الاسطورى فى الشعر العربى الحديث،-www.ahewar.org 292819 12-2012.